

الوطنية فى عالم بلا هوية الانتماء فى زمن الفضاء

مُتَلَمِّتًا:

مع حلول الألفية الثالثة فى برد الشتاء القارس بعواصفه الهوجاء وأواجه الهادرة ، تدخل البشرية منعطفاً خطيراً ، تدفع فيه القوى الطارئة المركزية للعولة الناس ، شعوباً ودولاً وأفراداً ، إلى طريق جديد .

العولة قدر مكتوب ، فلقد دخلنا فعلاً أول الطريق المجهول ، تدفعنا فيه جميعاً قوى عاتية أطلقت من عقالها ، وتتزاحم فيه جميعاً فى صراع رهيب . هل يا ترى هوسباق نحو القاع ، أو هو تدافع نحو الهاوية ، أم هو الحلم المخادع دائماً للبشرية مجتمع الأمل والعدل والسلام ؟

العولة أصبحت واقعاً ، والطريق إليها طريق تتلاحق فيه الأضواء المبهرة والعممة القادمة ، ولكن فى الأفق تلوح طاقة أمل تحتاج إلى قدر هائل من العمل ، هل هى نهاية التاريخ كما يدعى " فوكوياما " اليابانى الأصل والمنتشى بالحضارة ؟ أو " التكنولوجيا "

الأمريكية ؟ أم هي مرحلة صدام حضارات مروعة كما يصورها صامويل هنتينجتون (*Samuel Huntington*) ؟

الأول يستنسخ من جديد الحتمية التاريخية التي يشير لها " هيجل وماركس " ولم يكبح جماح حماسه مصير النظريتين الجدلية الهيكلية والماركسية ، والثاني يستحدث حرباً صليبية من جديد ، مبشراً بصدام بين الغرب والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية ، ويبشر بالهيمنة الغربية .

أم أن الأمر لا يعدو أن يكون دورة جديدة من دورات الزمن ، تتهياً للبشرية فيها فرص فريدة ، إذا لم ينس الإنسان فيها إنسانيته ، ولم تتفش حالة التسمم التكنولوجي التي أصابت الكثيرين في الغرب ؟

هل يمكن أن يتحول المنعطف التاريخي الخطير إلى منصة انطلاق واعدة لعصر جديد يحمل خيراً كثيراً للإنسانية كلها ، ويفتح أمامها آفاقاً لم تخطر على عقولهم من قبل ؟ تجعلهم أكثر أمناً واستقراراً ، أفضل صحة وعافية ينعمون فيه بدفء إنساني واطمئنان أخلاقي ، في عالم يسود فيه التراحم والتفاهم ويعلو فيه التكافل والاهتمام بالآخرين ، تلعب فيه الاكتشافات العلمية والتكنولوجية دوراً مبهراً في رفع مستوى الحياة للفقراء والمحتاجين وتأخذ بيد غير القادرين ، وتخلق فرصاً جديدة للعجزة والمعوقين ، وتتفتح فيه أبواب الشفاء لمن فقدوا الأمل في الحياة .